



إسرائيل كدولة قبائل:

كيف يروي ريفلين سقوط بوتقة الصهر وبداية النهاية؟

تمهيد

يُعد رؤوفين ريفلين واحداً من أبرز السياسيين في إسرائيل، فهو الرئيس العاشر لدولة إسرائيل، والرئيس الأسبق للكنيست، شغل منصب وزير الاتصالات في حكومة شارون الثانية، وعينه شارون ضمن طاقم المفاوضات مع الفلسطينيين. ريفلين هو خريج المدرسة الشهيرة (جمناسيا) في حي رحافيا، في القدس الغربية، حيث كان يسكن. كان أحد أعضاء المجلس البلدي في بلدية القدس، عمل في خدمته العسكرية ضابط استخبارات واستطلاع في لواء القدس في حرب الأيام الستة- حزيان ١٩٦٧م.

أصدر ريفلين كتابه الذي بين أيدينا مطلع هذا العام ٢٠٢٥، أنجز هذا الكتاب على مدى سبع سنوات، إذ كتب فصوله في مكتبه في مقر رؤساء إسرائيل، ويختار ريفلين افتتاح كتابه بما يشبه إعلان نوايا ومقولة سياسية-صهيونية- واضحة، إذ يشير إلى أن فصول الكتاب أنجزت في مكتبه الذي تطل شبابيكة على أسوار القدس.

تقوم هذه القراءة على تناول الكتاب بمجمله، مع التركيز على خطاب الأسباط - القبائل؛ باعتباره المقولة

الكتاب: رئيس في مياه هائجة

المؤلف: رؤوفين ريفلين

الناشر: يديعوت - حيمد

لغة الكتاب: العبرية

عدد صفحات الكتاب: 231 صفحة

سنة النشر: 2025

* كاتب وباحث في الشؤون الإسرائيلية، وكذلك في اللغة العربية والنقد الأدبي، ومختص بلغة الخطاب الإعلامي الإسرائيلي وقضايا المجتمع والدولة في إسرائيل.

إسرائيل كدولة قبائل: كيف يروي ريفلين سقوط بوتقة الصهر وبداية النهاية؟

ينشير ريفلين في الكتاب إلى عملية متسارعة وخطيرة يمر بها المجتمع الإسرائيلي ودولة إسرائيل. أبرز ملامح هذه العملية هي تشرذم المشهد الديمقراطي، وفقدان الأيديولوجيا وتحول السياسة إلى مصالح شخصية وحملات للكذب والتشهير في مواقع التواصل تجعل المواطن الإسرائيلي عاجزاً عن التمييز بين الحقيقة والكذب.

المستوطنات البالغ عدد سكانها قرابة ثمانية آلاف نسمة في ذلك الحين، تم التصويت على الخطة في الحكومة، وعرضت على الكنيست، وتم إقرارها بأغلبية الأصوات في تشرين الأول -أكتوبر- من العام ٢٠٠٤، مع معارضة رئيس الكنيست القيادي البارز في الليكود ريفلين لتلك الخطة إيماناً منه بوحدة "أرض إسرائيل"، فمن وجهة نظره إن الذي يطرح خطة للانفصال عن غزة اليوم سوف يطرح خطة للانفصال عن القدس في المستقبل القريب.

وبعيون تملؤها الدموع، يصف ريفلين الحالم قراءته لنص القرار، الذي يعارضه جوهرياً، لكنه ملزم بقراءته احتراماً للديمقراطية التي يعد رئيس الكنيست من أبرز رموزها. ويستمر ريفلين الحالم بلغة شاعرية في الحديث عن موقف مؤثر جمع حايم أوران من ميرتس، وتسفي هندل من المفدال، وهما على طرفي نقيض في الفكر والسياسة، و"في تعبير عن وحدة الشعب الإسرائيلي أمام قرار مصري مؤلم كهذا، قام المزارعان القياديان وعانق كل منهما الآخر في تعبير عن علاقة الشعب اليهودي بأرضه".

خطاب القبائل - الأسباط

بعد مرور عام على إشغاله منصب رئيس الدولة، ألقى ريفلين، الرئيس العاشر لدولة إسرائيل خطاباً اكتسب شهرة جماهيرية بين أوساط الشعب الإسرائيلي عامة، والباحثين والمحللين والإعلاميين على نحو خاص، ألقى ريفلين هذا الخطاب في مؤتمر هرتسليا في حزيران من العام ٢٠١٥م، أصدر ريفلين كتابه مطلع هذا العام ٢٠٢٥، وهو بالمناسبة كتابه الأول، وخصص فصلاً منه للحديث عن ذلك الخطاب الشهير، ويات الخطاب يُعرف بـ "خطاب القبائل" أو خطاب الأسباط، وبالعبرية (نؤوم هاشفاتيم) بسبب الفكرة العامة التي

الرئيسة للكاتب، فالخطاب هو الحدث المركزي إن جاز التعبير، وكل مسيرة ريفلين العسكرية، والسياسية والبرلمانية لاحقاً تتمحور حول الخطاب، وفي الخطاب يظهر تصويره لـ "الحلم الصهيوني"، والتحديات أمام هذا الحلم، وشروط تحقيقه، لم يرَ مؤلف الكتاب في يوم من الأيام أن أحد مكونات المجتمع الإسرائيلي يشكل تهديداً على المشروع الصهيوني وعلى الحلم الإسرائيلي كما يسميه. لاحظ مؤلف الكتاب عملية تحول شاملة مر بها المجتمع الإسرائيلي في العقود الثلاثة الأخيرة، وترتب على عملية التحول هذه ضرورة أن تستجيب حكومات إسرائيل المتعاقبة للواقع الجديد، من دون التنازل عن جوهر إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية في آن واحد، وتعريفها كبيت قومي للشعب اليهودي.

الانفصال أحادي الجانب عن غزة

يقول ريفلين: "شعب إسرائيل عاد إلى أرضه وأقام دولته". يسيطر على الكتاب خيط فكري ناظم من مطلعته إلى خلاصته، إذ يرافق الحلم الصهيوني المتمثل بتثبيت شعب إسرائيل في أرض إسرائيل كل فصل من فصول الكتاب، الذي يرى فيه ريفلين فصلاً من حياته وحياة الدولة التي ولدت معه ورافقته ورافقها على مدى أكثر من عقود سبعة، فيتحدث عنها في سبعة وعشرين فصلاً هي مجموع فصول الكتاب.

تحدث المؤلف في الفصل الخاص بخطة الانفصال عن غزة عن معارضته للخطة، شغل ريفلين حينها منصب رئيس الكنيست، وكان من المعارضين لخطة الانفصال أحادي الجانب عن غزة، معللاً ذلك بأن مئات القذائف والصواريخ سوف تسقط على رؤوس الإسرائيليين انطلاقاً من المناطق التي ستسحب منها إسرائيل. إذ قامت إسرائيل بأخلاء مستوطنات غوش قطيف نتساريم وموراغ ونفي دكاليم وغيرها من



■ ننتياهو وريفلين في حفل تأبين لرابين. (متداول على منصف إكس)

في بعض البلدان، وذلك بسبب تصاعد نسبة التأييد للمتطرفين الذين كانوا على هامش المشهد السياسي الثقافي فصاروا في المركز.

يضرِب ريفلين مثلاً من الواقع الإسرائيلي حول حركة كاخ المحظورة ممثلة برئيسها مائير كهانا في ثمانينات القرن الماضي، وكيف كانت الحركة خارج المشهد السياسي وخارج الإجماع، وفي إسرائيل كما في أوروبا هناك وَرْثَةٌ وأتباع للتطرف، كذلك لحركة كاخ اليمينية المتطرفة التي أخرجت خارج القانون وتم حظرها يوجد وَرْثَةٌ، ولكن الورثة الشرعيين انتقلوا من الهامش إلى المركز. وبسبب هذا التطرف والانزياح المتواصل نحو اليمين تعيش إسرائيل تحت خطر لا يقل عن تهديد وجودي، يبدأ على شكل تشردُم الديمقراطية وإلحاق الضرر الأمني والاقتصادي بدولة إسرائيل.

وسطية رئيس الدولة وأزمة قانون التجنيد

يتقاطع الكتاب مع فكرة بن غوريون حول بوتقة الصهر، ومفاد الفكرة أن على كل قطاعات الشعب تقديم

انطوى عليها الخطاب، وهي تقسيم ريفلين لمكونات المجتمع الإسرائيلي إلى قبائل أربع.

يشير ريفلين في الكتاب إلى عملية متسارعة وخطيرة يمر بها المجتمع الإسرائيلي ودولة إسرائيل. أبرز ملامح هذه العملية هي تشردُم المشهد الديمقراطي، وفقدان الأيديولوجيا وتحول السياسة إلى مصالح شخصية وحملت للكذب والتشهير في مواقع التواصل تجعل المواطن الإسرائيلي عاجزاً عن التمييز بين الحقيقة والكذب. ولعل أبرز ملامح العملية المتسارعة الخطيرة التي يمر بها المجتمع الإسرائيلي النمو المتزايد للتيار المسحني الديني المتطرف.

في أوروبا مثلاً كما يذكر الكاتب، هناك حالة من الاستقطاب ناجمة عن التحريض ضد المهاجرين ومعاداة قيم الليبرالية أدت إلى عملية صعود الأحزاب عنصرية وما بعد فاشية، ومشاركة هذه الأحزاب في بعض الحكومات مثل النمسا وإيطاليا وهنغاريا، الأمر الذي أدى إلى صعوبة إقامة ائتلاف حاكم متزن ومعقول

إسرائيل كدولة قبائل: كيف يروي ريفلين سقوط بوتقة الصهر وبداية النهاية؟

واجب الخدمة العسكرية؛ وذلك من أجل توحيد المفاهيم والحصول على شعب متناغم ومتناسق إلى حد كبير رغم التباينات التي تظهر في قطاعات المجتمع وثقافته، من اليهود الشرقيين إلى الأشكناز مروراً باليهود الروس ويهود اثيوبيا وصولاً إلى (العرب والسدروز والبسو والشركس).

يكتسب هذا النص أهمية في هذه المرحلة مع تفاقم أزمة قانون التجنيد في ظل الحرب على غزة، فهناك حاجة ملحة لتعبئة الفراغ بسبب العدد الكبير من القتلى والجرحى في صفوف الجيش الإسرائيلي، هناك انقسام كبير حول هذه القضية، وإذا كان الكتاب يناقش ذلك الانقسام الحاد بين فئات المجتمع الإسرائيلي وأسبابه فإن الأزمة الراهنة حول قانون التجنيد هي خير مثال على ذلك، إذ تهدد الأحزاب الدينية-الحريدية-بالانسحاب من الحكومة وإنهاء الائتلاف إذا ما خرج القانون إلى حيز التنفيذ، تكمن المفارقة هنا في جوهر الثقافة والفكر وفي التباين بين المنظور العلماني - العملي- للموقف والمنظور الديني التوراتي، ففي الوقت الذي يُجمع فيه الإسرائيليون على أن الخدمة العسكرية تضمن حماية الكيان السياسي، يرى الحريديم أن تعلم التوراة وتعليمها هو الضمانة لحماية الأمة والشعب، بل أبعد من ذلك، الخدمة العسكرية بنظرهم هي إفساد للروح اليهودية والقيم الدينية وبالتالي خطر على الأمة.

تثير هذه الخلافات أسئلة قديمة حديثة عن مكانة رئيس الدولة ودوره في جمع شتات الشعب اليهودي، ديمغرافية وفكرياً؛ فمركز رئيس الدولة هو بمثابة الحاضنة لكل مكونات الشعب اليهودي والمجتمع الإسرائيلي، من ناحية ثانية، هل يستطيع رئيس الدولة أن يتخذ موقفاً من قضية خلافية بصفته شخصية جامعة موحدة لكل الأطياف؟ هل يستطيع أن يكون مع الإجماع العام حين تطرح قضايا ذات إجماع عام مثل قضية قانون التجنيد، وهل يحسب هذا الموقف له أم عليه؟ بمعنى، متى يحق لرئيس الدولة ومتى يجب عليه أن ينحاز، وهل يأخذ موقفاً وسطياً مهما بلغت حدّة الخلافات؟

يبدأ الأمر وينتهي بتشرذم المجتمع الإسرائيلي وانقسامه إلى قطاعات - قبائل. قال ريفلين في خطاب القبائل - ليس هو من أطلق عليه هذا الاسم، لكنه تحول لاحقاً إلى رمز- قال ما فحواه:

هناك عمليات ديمغرافية ثقافية تعيد تغيير وجه المجتمع الإسرائيلي وتصمّمه من جديد في العقود الأخيرة، هذه العمليات حولت المجتمع الإسرائيلي من مجتمع فيه أغلبية وأقلية واضحتان إلى مجتمع مركب من أربعة أسباط - قبائل تقرب من بعضها البعض من ناحية الحجم والعدد: علمانيون، ومتدينون وطنيون، ومتدينون (حريديم)، وعرب. بجانب هذه الأوساط هناك فجوات واضحة وجديدة بين العلمانيين والمتدينين، والأغنياء والفقراء، والقدامى والقادمين الجدد، وأهل المركز والمناطق النائية. لكل من هؤلاء منظومة مختلفة. فهل هذه دولة دينية؟ أم دولة ديمقراطية؟ أو دولة يهودية ديمقراطية؟ أم دولة تورا وشريعة؟

كان المجتمع الإسرائيلي في تسعينيات القرن الماضي، كما يقول ريفلين، مبنياً من أغلبية قوية واضحة وإلى جانبها أقليات. أغلبية صهيونية رسمية - دولانية كبيرة، بجانبها أقليات من المتدينين الوطنيين والحريديم والعرب. بقيت هذه الصورة جامدة وثابتة في أذهان غالبية المجتمع الإسرائيلي ووسائل الإعلام والطبقة السياسية، لكن، في الواقع، هذه الصورة تغيرت في مضمونها وغاياتها وجوهرها.

اليوم يشكّل طلبة الصف الأول في المدارس في المجتمع الإسرائيلي عامة ما نسبته (٢٨٪) من العلمانيين (الدولانيين)، وما نسبته (١٥٪) من المتدينين القوميين، وقربانة الربع من الحريديم وقربانة الربع أيضاً من العرب. وهذا حسب ما ورد في الفصل الذي بين يدينا من الكتاب. والشئ الواضح هنا هو أن التغيرات الديمغرافية أنتجت نظاماً إسرائيلياً جديداً، ومختلفاً عما عرفناه سابقاً، ما المشترك الذي يجمع فتاة عربية من مدينة راهط مع مواطن علماني من تل أبيب وشاب آخر من إفرات ومواطن رابع من بني براك؟ لكل منهم نظام تعليمي منفصل، وميزانيات، وقيادة فكرية أو دينية خاصة، ومنظومة عادات وتقاليدهم وقيم وقوانين اجتماعية تحمل خصوصية معينة لا يمكن تجاوزها.

وهذا ما يقود إلى طرح تساؤلات نقدية عاجلة: ما المشترك بين كل هذه الشرائح - القبائل؟ هل هناك لغة مدنية مشتركة؟ هل توجد قيم وأخلاقيات مشتركة؟ هل هناك سلّم قيم متفق عليه يجمع كل هؤلاء في دولة إسرائيل اليهودية - الديمقراطية؟ كان الجيش الإسرائيلي في السابق بمثابة الأداة والآلية المركزية لتصميم المجتمع الإسرائيلي وتشكيله، لكن، في هذا النظام الإسرائيلي المتغير

كان المجتمع الإسرائيلي في تسعينيات القرن الماضي، كما يقول ريفلين، مبنياً من أغلبية قوية واضحة وإلى جانبها أقليات. أغلبية صهيونية رسمية - دولانية كبيرة، بجانبها أقليات من المتدينين الوطنيين والحريديم والعرب. بقيت هذه الصورة جامدة وثابتة في أذهان غالبية المجتمع الإسرائيلي ووسائل الإعلام والطبقة السياسية، لكن، في الواقع، هذه الصورة تغيرت في مضمونها وغاياتها وجوهرها.

حاول رؤوفين ريفلين في عامه الأول في منصب رئيس الدولة، كما يقول، أن يوقظ مكونات المجتمع الإسرائيلي وقبائله وأوساطه المختلفة لرؤية الطرف الآخر، ولحاولة فهمه والاصغاء إليه، حتى وإن كان ذلك صعباً، أو مزعجاً، أو غير مريح، ويقف ريفلين في خطابه بعد عام من العمل في منصب رئيس دولة إسرائيل، في مؤتمر هرتسليا، ليقول الأمور بشكل واضح وصريح ومباشر للجمهور. وذلك انطلاقاً من شعور عميق أن المجتمع الإسرائيلي بحاجة إلى صرخة استيقاظ ونداء استغاثة، يرى ريفلين من موقعه كحلقة وصل بين الفرقاء ضرورة حث كل الأطراف على العمل والتطوع؛ لتحقيق هذا الحلم الصهيوني الإسرائيلي الذي يقوم على المشترك بين كل قبائل - أوساط المجتمع الإسرائيلي في الدولة اليهودية الديمقراطية.

بين "سور" جابوتنسكي وريفلين "حارس الأسوار"

يلخص المؤلف رؤيته في ظل مقالة جابوتنسكي الأب الروحي لليكود، فيقول ما معناه، عندما نعود إلى وطننا ونبني دولتنا، على إسرائيل إحاطة نفسها بجدار حديدي بالمعنى الحقيقي والمجازي للكلمة، وهذا الجدار كما يقول للدفاع لا للهجوم، بهدف التصدي للعرب الذين لم يقرّوا بعد بحقيقة وجودنا على هذه الأرض، إن اصطدام العرب مرة بعد مرة بهذا الجدار سوف يتعبهم، ويطفئ شعلة الأمل لديهم بالقضاء علينا، ويجعلهم يتقبلون حقيقة وجودنا هنا. وفي هذا الجدار نترك فتحات صغيرة للمراقبة نطل منها بين الحين والآخر على جيراننا - أعدائنا - لنراقب إذا ما كان موقفهم تغير مع الوقت تجاهنا، وفي الوقت المناسب سنفتح بوابات هذا الجدار ونحدث مع العرب حول الأمر الواقع الجديد وحول كيفية عيشنا هنا في هذا الواقع الجديد.

والناشيء هناك ما يقرب من نصف سكان الدولة لا يخدمون في الجيش، وبالتالي لن نرى بوتقة صهر، ولن نرى قيماً موحدة مشتركة. وبغياب الخدمة العسكرية لدى قطاعات متزايدة في المجتمع سوف يفقد المجتمع الإسرائيلي منظومة القيم والأخلاقيات والمقولات المشتركة الموحدة التي تؤدي دوراً في إنتاج الإسرائيلي الجديد. يرمي ريفلين في خطابه، متسائلاً: هل نحن الجمهور الصهيوني الدولاني - الرسمي قادرون على التسليم بأن قطاعين مهمين من المجتمع الإسرائيلي - نصف عدد سكان الدولة مستقبلاً - لا يرون أنفسهم كما نراهم نحن؟ إضاءة الشعلة على جبل هرتسل في عيد الاستقلال لا تعني لهم شيئاً ولا يشاهدون الحفل؟ ولا ينشدون النشيد الوطني ولا يعترفون به؟ هل نحن أصلاً مستعدون للتنازل عن الخدمة العسكرية بوصفها بطاقة الدخول إلى التجربة الإسرائيلية وإلى المشترك الإسرائيلي وإلى الاقتصاد الإسرائيلي؟ وانطلاقاً من ذلك هل نكتفي بالخدمة المدنية أو الجماهيرية؟ وبالمقابل، هل الوسط العربي والحريديم على استعداد لتقديم ما يترتب عليهم من واجب لتصميم هذا المناخ الإسرائيلي العام والاقتصاد الإسرائيلي؟ أو المساهمة في خدمة مدنية أو جماهيرية انطلاقاً من الشعور بالمسؤولية والالتزام؟ من لا يستعد لطرح هذه الأسئلة، والكلام لريفلين، فهو ليس صهيونياً ولا قومياً بعد اليوم، وهو بالضرورة يتجاهل التحديات الكبرى التي تقف بوجه المشروع الصهيوني اليوم. إن كنا من محبي الحياة، وكانت رؤية الدولة اليهودية الديمقراطية حلم حياتنا وتوق نفوسنا فإننا مطالبون بالنظر بجرأة ومسؤولية إلى هذا الواقع المستجد الناشئ. ومن هنا، وانطلاقاً من التزام عميق علينا أن نجد مع بعضنا البعض إجابات لهذه التساؤلات لكي نرسم معاً، كل قبائل إسرائيل، رؤية مشتركة لهذا الحلم - الأمل، الإسرائيلي.

إسرائيل كدولة قبائل: كيف يروي ريفلين سقوط بوتقة الصهر وبداية النهاية؟

كان الجيش الإسرائيلي في السابق بمثابة الأداة والآلية المركزية لتصميم المجتمع الإسرائيلي وتشكيله، لكن، في هذا النظام الإسرائيلي المتغير والناشيء هناك ما يقرب من نصف سكان الدولة لا يخدمون في الجيش، وبالتالي لن نرى بوتقة صهر، ولن نرى قيماً موحدة مشتركة.

لعقيدة واحدة، ولا قيم موحدة مشتركة، لا وجود لرؤية سياسية واحدة.

هذا المجتمع أخذ بالتحول والتغير، والمجتمع يدفع ثمناً لا يمكن تجاهله أو التغاضي عنه، المجتمع اليهودي الصهيوني اليوم يدفع ثمن التحول الديمغرافي، ربما يشترك الإسرائيليون إلى تلك القبيلة الكبيرة الواحدة التي كانت في الماضي، والتي لم يعد لها وجود اليوم، أرض إسرائيل القديمة والمحبوبة حسب تعبير المؤلف. كانت أغلبية صهيونية علمانية دولانية واضحة بجانبها أقليات صغيرة من العرب والحريديم والمتدينين الوطنيين. اليوم هناك واقع جديد، واقع بحاجة إلى الانتباه إلى التحولات الديمغرافية التي غيرت هوية المجتمع، وأعدت ترتيب النظام الإسرائيلي الجديد. تعيش إسرائيل خطراً وجودياً يكمن في تجاهل هذه التحولات، ليس الخطر كامناً في خصوصية كل واحد من مركبات المجتمع، لكن الخطر يكمن حسب قول المؤلف في تجاهل التحولات الديمغرافية، والتحولات على صعيد تغيرات الهوية، فبدل أن تكون لدينا دولة فيها قبائل -أسباط- صرنا عبارة عن مجموعة قبائل عندها دولة، وكل قبيلة تدعي بأنها أقلية مظلومة ومهددة وتطالب بالمزيد من الأمن الاجتماعي والاقتصادي والحقوق والمخصصات، وكل قبيلة واثقة بينها وبين نفسها أن جدول الأعمال الوطني لن يتقدم من دون مساهمتها.

بعد أن رصد ريفلين في خطابه التحولات العميقة الخطيرة التي طالت المجتمع الإسرائيلي، أضاف على سبيل المقارنة ما آلت إليه الأمور بعد مرور عقد من الزمن على الخطاب، فبالأمس كما يقول، كانت هناك خلافات عميقة وجديّة بين جابوتنسكي وبين غوريون لكنها لم تصل إلى اتهامات متبادلة بالخيانة كما يحصل اليوم، اليوم يتألف المجتمع من معسكرين كبيرين يلفهما الاغتراب والعزلة، يحاول أحدهم سحب

حاولت حماس، كما يقول المؤلف، تعريض وجودنا للخطر، حماس لا تستطيع القضاء علينا لكنها تستطيع أن تتحدانا وتسبب لنا القلق على حد تعبيره، وهذه هي نتيجة الانسحاب أحادي الجانب من غزة، وهذه هي ثمار الجولات المتعددة التي خضناها مع حماس بلا رؤية وبدون خطة واضحة، هذه المنظمة التي سمحنا لها بالبقاء وقبلنا أن يصل إليها الدعم من الخارج لاعتبارات إسرائيلية سياسية ضيقة، ها هي تقوم ضدنا وتعمل على إبادةتنا. وبهذا المعنى فإن هجوم السابح من أكتوبر هو أولاً تعبير عن أن حسم الصراع لا يأتي بالقوة لأن لكل فعل ردة فعل، وثانياً هو إثبات بأن نظرية الجدار الحديدي لم تعمل في هذه الحقبة من الصراع فلا يزال هناك من يحاول أن يتحدى إسرائيل عسكرياً ويحاول تهديد وجودها. والمفارقة هنا هي أن إسرائيل هي آخر دولة في المنطقة يمكن مواجهتها عسكرياً نظراً للقدرات الاستخباراتية والأمنية والعسكرية والاقتصادية لديها، وأن حماس بعد عقدين من الحصار والعقوبات والتضييق هي آخر من يمكنه أن يفكر بشن هجوم من هذا النوع، وبالتالي تعرضت نظرية الجدار الحديدي لاختبار محرج، على أقل تعبير.

تقوم مقولة ريفلين الرئيسة بجانب رؤيته الصهيونية الواسعة، على ضرورة الانتباه إلى نظام إسرائيلي جديد، ورؤية لهوية إسرائيلية جديدة، لم يعد المجتمع قائماً على أغلبية واضحة وأقلية واضحة كما كان في تسعينيات القرن الماضي، اليوم، لم تعد الملكية -الزعامة- واضحة في المجتمع الإسرائيلي، فلا قيادة مركزية جامعة. إن غياب هذه الأكثرية الواضحة تلزم المجتمع الإسرائيلي بالشراكة، والحوار. فلا توجد اليوم قواسم مشتركة، لا وجود لإجماع مطلق على خدمة عسكرية بوصفها بوتقة للصهر، اليوم يلتقي الإسرائيليون حسب تعبير الكاتب في مكان العمل فقط، لا توجد قيم مشتركة، لا وجود

تقوم مقولة ريفلين الرئيسة بجانب رؤيته الصهيونية الواسعة، على ضرورة الانتباه إلى نظام إسرائيلي جديد، ورؤية لهوية إسرائيلية جديدة، لم يعد المجتمع قائماً على أغلبية واضحة وأقلية واضحة كما كان في تسعينيات القرن الماضي، اليوم، لم تعد الملكية -الزعامة- واضحة في المجتمع الإسرائيلي، فلا قيادة مركزية جامعة. إن غياب هذه الأكثرية الواضحة تلزم المجتمع الإسرائيلي بالشراسة، والحوار.

تيار عن التيار الآخر، الإصلاحيون والمحافظون، أعاد ريفلين إلقاء الخطاب في مناسبات لاحقة، ففي خطابه اللاحق لخطاب هرتسليا توجه ريفلين إلى الجمهور في جامعة راخمن، مضيفاً وموضحاً، لسنا أربع قبائل، أنتم أيها الإصلاحيون ويهود المهجر واليهود الذين اضطروا لمغادرة إسرائيل لأسباب خاصة ولفترات محددة أنتم القبيلة الخامسة، اللاسامية ترفع رأسها ضدنا من جديد وعلينا أن نكفل حماية بعضنا البعض، أعداء اليهود هم أعداء دولة إسرائيل، وأعداء إسرائيل هم أعداء اليهودية، والدور قادم علينا إن لم نقف مع بعضنا البعض.

نحن اليوم خمس قبائل، كلنا نتحمل المسؤولية عن مستقبل دولة إسرائيل، هذه الدولة التي يعيش فيها يهود ومسلمون ومسيحيون، وهي معرّفة على أنها دولة يهودية بلا تردد، فيها حقوق متساوية لكل مواطنيها الذين يستعدون ويقبلون بما هيّة الدولة، الوطن القومي للشعب اليهودي.

مواقف مع نتنياهو

يقف المؤلف في عدد من المحطات عند مواقف وممارسات لرئيس الحكومة الحالي نتنياهو، ويضرب ثلاثة أمثلة: ففي التصويت على خطة الانفصال أحادية الجانب عن غزة، سألته الذكر، صوت نتنياهو في الكنيست مع الخطة، وعندما خرجت الخطة إلى حيز التنفيذ تحدث نتنياهو في الكنيست ضد الخطة في خطوة رمزية تهدف إلى كسب أصوات القاعدة الانتخابية. وفي ما يتعلق بترشح ريفلين لمنصب رئيس الدولة يروي مواقف نتنياهو المتضاربة حول ترشيح ريفلين، إذ كان يصرح علناً أنه يدعم الترشيح، ثم يعمل على أرض الواقع ضد وصول ريفلين إلى منصب رئيس الدولة.

والمثال الثالث، قبيل انتخابات العام ٢٠١٩ قرر

الشرعية عن العرب في المجتمع الإسرائيلي من خلال دعوات إلى تكريس أغلبية يهودية.

يحتاج حلّ هذه الأزمة حسب رؤية ريفلين إلى قيادة جديدة ومختلفة، قيادة تأخذ بعين الاعتبار احتياجات كل مكون من مكونات المجتمع الإسرائيلي، قيادة تعمل على إخراج المتطرفين إلى خارج الاجماع الإسرائيلي بدل أن تعمل على دعم التطرف وتقوية وزنه الانتخابي، يحتاج حل الأزمة إلى قيادة لا تبحث عن النجاة الشخصية ولا تضع المصلحة الشخصية قبل مصلحة الجمهور، قيادة متواضعة بعيدة عن الفساد والشبهات الجنائية.

أما في السياق العربي فيرى ريفلين ضرورة إقامة حزب يهودي-عربي مشترك يقوم على المساواة يحصد ما بين ١٥-١٨ مقعداً في الكنيست ويقلص الهوة والفجوات قدر الإمكان، يكون هذا الحزب حزباً وسطاً بإمكانه إحداث التغيير المطلوب.

نقطة إضافية يتحدث عنها ريفلين في هذا الفصل من الكتاب: لقد دُعي إلى إلقاء كلمة في الكونغرس اليهودي العالمي في لوس أنجلوس مع نشطاء وقادة من الجالية اليهودية من الأشد ولاءً لإسرائيل، وهناك تحدث عن "خطاب القبائل" بوصفه صرخة - نداء للتحرك وإنقاذ المشروع الصهيوني، ومن نقاشاته مع رموز التيار الإصلاحي لاحظ مدى الاستياء والتحفّظ، ليس على ما يحدث في المجتمع الإسرائيلي في إسرائيل، بل على ما يحدث إزاء علاقة الإصلاحيين بالعالم اليهودي، فهم يعيشون حالة من العزلة، ويشعر المحافظون بالإقصاء، بينما يشعر المهاجرون من إسرائيل بالإهانة بسبب أولئك الذين يشبهونهم بالضعفاء الذين تساقطوا على جانبي الطريق في المشروع الصهيوني، والمفارقة التي يطرحها ريفلين هي أن (اللاسامين) يستهدفون كل هؤلاء من الخارج.

هناك حالة من الغربة والعزلة يعيشها أتباع كل

إسرائيل كدولة قبائل: كيف يروي ريفلين سقوط بوتقة الصهر وبداية النهاية؟

كل ما تستطيع إسرائيل أن تفعله هو الردع وتطوير أدوات الردع، وتثبيت الوضع القائم، وهو الحرب الدائمة، ما فائدة الجدار الحديدي هنا؟ وماذا حل بنظرية "ما لا يتم بالقوة سوف يتم بالمرزق"؟ إلى أي حد يستطيع ورثة جابوتنسكي المضي قدماً في ضرب العرب بشكل مستمر لحين الوصول إلى اللحظة الذهبية التي يخبو فيها الأمل عند الفلسطينيين بالقضاء على الاستعمار ثم التحرر منه؟

الشعب اليهودي وتنال من فرص بقائه، كل من كان في مركز قيادي مهم أو لا يزال في ذلك المركز يعرف صورة الوضع، ويدرك المخاطر التي تضعها حكومة نتنياهو أمام دولة إسرائيل.

هذه التحذيرات أطلقت مرات عديدة، من عدة أشخاص في مراكز حساسة، رفض نتنياهو الإصغاء، واختار التمسك بالسلطة، كل الوسائل كانت ولا تزال مباحة من وجهة نظر نتنياهو من أجل أن يظل على كرسي السلطة، يقول ريفلين، ويضيف، كمن يرثي واقع الدولة ومستقبلها: لقد صنع نتنياهو بن غفير ومنحه الشرعية وأدخله إلى الحكومة، تلك الشخصية الخلفية المثيرة للجدل، الملاحق من جهاز الأمن العام الشاباك، عينه نتنياهو وزيراً مسؤولاً عن الشرطة، يا للعار. ومثله سموترتش الذي لا يقل خطراً عن بن غفير بسبب آرائه المتطرفة ودهائه إذ يشكل خطراً على إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية.

مع هذين الاثنين تحديداً انطلقت دولة إسرائيل إلى شن حرب هي الأضعف والأخطر في العقود الخمسة الأخيرة، وهما أكثر من عبء زائد على كاهل حكومة هي في أمس الحاجة إلى شرعية دولية.

لقد علم نتنياهو بهذا جيداً منذ البداية، لكن لم يكن بمقدوره أن يفعل غير ذلك.

المستشار القضائي للحكومة مندبلبيت التوصية بتقديم نتنياهو للمحاكمة على قضايا الخداع والرشوة وخيانة الأمانة، وبما أن لائحة الاتهام لم تقدم بعد، وأن المحكمة لم تعارض الترشيح، وأن نتنياهو حصل على توصية ٦٥ عضو كنيسست من أصل ١٢٠، فلم يكن هناك مانع من أن يقوم ريفلين بتكليف نتنياهو لتشكيل الحكومة كما هو متعارف عليه في الدستور، عمل نتنياهو كل ما بوسعه لكي لا تبدأ المحاكمة الفعلية بحقه كما يقول ريفلين، وبدل أن يقوم نتنياهو بإعادة المقعد إلى رئيس الدولة بعد فشله في تأليف الحكومة، كما هو متفق عليه، قام نتنياهو بتمرير قرار بحل الكنيسست، وبالتالي كسب المزيد من الوقت وتأجيل المحاكمات. يقول ريفلين أن نتنياهو استغل هذه الخطوة في سابقة خطيرة بشكل سيء وبناء على اعتبارات شخصية سياسية بالدرجة الأولى؛ ما ألحق الضرر بالعملية الديمقراطية، ويضيف: يتضح لاحقاً أن هذه الخطوة كانت مجرد بداية الحملة التي شنّها نتنياهو على العملية الديمقراطية في إسرائيل.

في سياق حديثه عن مملكة المتطرفين في الفصل الأخير من كتابه، يتذكر ريفلين لقاءه مع نتنياهو في الولايات المتحدة قبل ثلاثة عقود، كان ذلك عبارة عن نتنياهو مختلف تماماً، يقول ريفلين مذكراً نتنياهو: عندما كنت أتحدث قبل ثلاثين سنة مع أصدقائك الذين تخلصت منهم بهذه الطريقة أو تلك، كنت أقول لهم بأنك ستأتي إلى إسرائيل وتدخل عالم السياسة، فكانوا يرددون عليّ بالقول بأنك دجال. والآن، اليوم، أريد أن أقول لك يا (بيبي) هم لا يعلمون إلى أي حد أنت دجال!

إلى حين كتابة هذه السطور -يضيف ريفلين في ختام الفصل- نحن أسرى -رهائن بيد أشخاص يؤمنون بأن مصالحهم الشخصية فوق كل اعتبار، وعلى رأسهم نتنياهو، كل ذلك يحدث في فترة حرجة تستهدف مستقبل

الخلاصة

إن التسوية التي تُفرض بالقوة لن تدوم، وستعود للانفجار مجدداً بسبب هذا الصدام التاريخي وارتداداته اللاحقة، وهذا ما عملته إسرائيل منذ العام ١٩٤٨م، فكانت النكبة بمثابة حسم مؤقت للصراع، ومن هنا جاء السابع من أكتوبر على شكل إجابة على أن فرضية الحسم بالقوة لن يكتب لها النجاح، ما يحاول ريفلين الإشارة إليه هو ضرورة البحث عن احتمال ثالث، فالآن، لا يوجد حسم عسكري للصراع بالقوة، وليس هناك من توجه لحل سياسي.

كل ما تستطيع إسرائيل أن تفعله هو الردع وتطوير أدوات الردع، وتثبيت الوضع القائم، وهو الحرب الدائمة، ما فائدة الجدار الحديدي هنا؟ وماذا حل بنظرية "ما لا يتم بالقوة سوف يتم بالمزيد من القوة"؟ إلى أي حد يستطيع ورثة جابوتنسكي المضي قدماً في ضرب العرب بشكل مستمر لحين الوصول إلى اللحظة الذهبية التي يخبو فيها الأمل عند الفلسطينيين بالقضاء على الاستعمار ثم التحرر منه؟

تتلخص رؤية ريفلين بالتوليف بين نظرية جابوتنسكي بالتشديد على أن البقاء هنا هو حقيقة مبرمة، مع العمل على خلق أمل - رؤية - جديدة تستوعب فيها الدولة كل القبائل والأسباط، على قاعدة أن الجميع باقون هنا. وأن المشروع الصهيوني ذاهب إلى نهايات كارثية إن لم يحدث حل تاريخي عادل أو مصالحة.

إن صناعة الجهل والتطرف والشعبوية والتحريض هي أدوات قد تقوض الحلم الصهيوني، وبالتالي، يطلق ريفلين هذا النداء في محاولة لجسر الهوة وإنقاذ المشروع وتكريس "وجود شعب إسرائيل على أرض إسرائيل" كما يقول، ذلك لأن التطرف والعنصرية وتجاهل الآخر هي انتحار وتهديد للأمن القومي والمشروع الصهيوني برمته، وهذا ما يحاول أن يعالجه من خلال كتابه، ومن خلال خطابه، كما لو كان ريفلين آخر العقلاء الصهاينة.

مصادر ومراجع

اليمين الجديد في إسرائيل مشروع الهيمنة الشاملة، تحرير: هنيده غانم. المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، رام الله. ٢٠٢٣.

وديع عواودة، ريفلين: الإسرائيليون أربع قبائل متباعدة ومنفصلة. القدس العربي: ٨-٦-٢٠١٥.

رئيس الدولة المنتهية ولايته رؤوفين ريفلين: "دولة إسرائيل لن تكون أبداً أمراً مفهوماً ضمناً". موقع الكنيسست - أخبار الكنيسست. ٧-٧-٢٠٢١.

يارون ديكل، ترجمة هشام نفاع، رئيس الدولة "الذي وضع إسرائيل أمام المرآة" المشهد الإسرائيلي، مدار ٥-٧-٢٠٢١.

أنطوان شلحت، المجتمع والساسة في إسرائيل والتطرف اليميني: تذكير ببعض وقائع ماضية. المشهد الإسرائيلي، مدار ٦-٢-٢٠٢٣.

خالد الطالبة، إسرائيل على حافة الإنهيار وسط انقسامات داخلية متصاعدة. شبكة الجزيرة، مدونات، ١٧-١٠-٢٠٢٤.

أهارون ريبونفيتش، الحريديم يهددون بالانسحاب وتفكيك الائتلاف على خلفية قانون الإعفاء من الخدمة العسكرية. صحيفة هآرتس، ١٤-٧-٢٠٢٥.